هـــــذا هـــــو صلاح الـقـــصـــب

رجل هادئ ذو عينين حالمتين وعقل مليء بالرؤى ووجه عليه الشروح اينما حل .. لايتحدث واذا تحدث فان حديثه ياخذ سرعة السلحفاة .
يؤمن بان الكلمات لاتصنع مسرحاً.. ثابت النظرات قضى حياته وهو يتارجح في حلقات من الخيال والدهشة .. يرى العالم من خلال صور تستفزه فيحولها المشاهد الى مسرحية شخصية امتزجت فيها تراجيديا شكسبير بانسانية تشيخوف التي غلفها مهنيات ارتو.. تستفزه الصور اكثر من الكلمات ..

علي حسين

السمع بالنسبة اليه مساحة لكشف الحقيقة ففي مسرحياته يتشابك الضوء مع الصمت .. يفهم المسرح على انه يتصور لمشاعر الانسان ويترجمه لفترات العناء والدهشة .. رجل مهووس بالصور التي تنساب من بين اصابعه حرة عفوية ..
قبل زمن امتد لربع قرن انتظرت صلاح القصب امام بناية اكاديمية الفنون الجميلة .. كنت اريد ان القي عليه سؤالا كان يشغلني .. من هو صلاح القصب ؟. الا ان شكله الساخر والجاد في الوقت نفسه وملامحه التي تشع حدة اقرب الى الجنون احيانا جعلتني استبدل سؤالي بكلمات مرتبكة (اريد ان اجري حوارا معك) كانت هذه الجملة بداية لصداقة امتدت من ذلك الوقت بنفس المحبة والتوهج استطعت من خلالها ان اسجل الكثير من الملاحظات عن عمل صلاح القصب المسرحي وان اجري معه اكثر من حوار لكن السؤال الذي كان يشغلني لم اطرحه عليه الا بعد سنوات عدة حين فاجاته وهو منهمك بتحضير لمسرحية مكبث لاقول له ..
من هو صلاح القصب ..؟
– انا رجل احيا احلام شخص مجنون اسمه صلاح القصب وهذه الاحلام هي علامة البداية لما اريد ان اقوله على المسرح .. فهي توحي لي الطريق التي علي ان اسير بها .. صلاح القصب كائن لا طعم له ولا رائحة ولا لون بدون خشبة المسرح.
– فهذه الخشبة هي المكان الوحيد الذي اطلق من فوقه صرخة الألم وصيحات الغضب لاجسد من خلاله قسوة العالم .. وعلى هذه الخشبة اسعى لاطلاق صوتي كي أحرض الناس على التوهج وبلاغ الحقيقة ..
•ماذا تريد من المسرح ؟.
– لااريد شيئا من المسرح ولكنني بتعبير ادق اريد مسرحا مختلفا .. مسرحا بلا غايات آنية فإذا تحول المسرح الى منبر دعاية فقد وظيفته الحقيقية .. المسرح بالنسبة لي مدعاة للالم والفرح وانا اعيش من خلاله صراع دائم مع العالم الذي تستدعيه مخيلتي .. اريد مسرحا يمتلك صمتا موحيا ومشحونا بالمعاني والكلمات .. مسرحاً حيوياً كأنه مخ مفتوح فوق هاوية سحيقة يستطيع المتفرج ان يسمع منها همهمة الارض نفسها مسرحا يقدم التفاصيل الصغيرة التي تمنحنا الافكار اكثر مما تمنحنا المتعة مسرحا يقدم لنا الجمال والقبح ورائحة العالم والاحلام والافكار.
– هذا اذن هو صلاح القصب المخرج الوحيد في مسرحنا العربي الذي نستطيع ان نضع وصفا محدودا واضح المعالم لمنهجه ومنظومته الفكرية ولنوع القضايا التي لامسها طوال عمر ابداعه فنيا وفكرياً وهاملت والملك لير فالعاصفة فمكبث فطائر النورس والخال فانيا وحفلة الماس.. نحن امام مخرج همه واهتمامه قضايا الناس ايا كانت درجة اتفاقنا واختلافنا مع المنهج والزاوية التي يقترب بها من هموم الناس . ولم يكن عجيبا ان يطرح صلاح القصب في معظم اعماله فكرتين حاكمتين لابداعه .. الاولى هي الآلية التي تربط المشاهد والقائمة على فكرة الخيال الذي يخترق المالوف وهو حين يحققه يستحيل حالة من حالات الاشتراك في الخلق والتركيب..
والثانية هي فكرة الصراع التي تاخذ اشكالا رمزية ليس لها ترجمات مادية مباشرة وهي التي يعبر عنها صلاح القصب بمجمل اعماله .
هل استطعت ان اقول لكم من هو صلاح القصب .. ربما من الصعب على اسطر قليلة كهذه ان اقدم صورة لمخرج يعد واحدا من ابرز وانضج مخرجي المسرح في الوطن العربي .. لكنها ذكريات خطرت ببالي وانا اكتب هذه الصفحة التكريمية الخاصة بالصديق صلاح القصب بمناسبة تكريمه في مهرجان قرطاج الدولي للمسرح .. املا ان تكون هذه الكلمات جزءاً من وفاء وحب لرجل عشق المسرح وما زال يامل بان يجد على خشبة المسرح فسحة لاحلامه المؤجلة .. هذا ما يتمناه هو وما نريده نحن من القائمين على الثقافة في العراق ان نسمع صوت صلاح القصب مدويا على خشبة المسرح..

الـــنـــص المـــســرحـــي في مخـــتـــبر الـقـــصـــب

د.ناجي كاشي

(صلاح القصب) مخرج من نوع خاص في المسرح العراقي والعربي، مخرج مسحور بالوعي والحلم المتدفق والصورة المبهرة والفلسفية التي تاتي من اللاوعي فهو يبحث عن اشكاله للتجربة مثلما يبحث عن المضامين ويبحث عن صور للحركة، فأشكال التجربة التي بحث عنها هي اشكال شمولية تلخص المشاعر وتضعها في معترك التعبير التي هي (الصورة) التي لم تكن شكلية جمالية، وانما هي صورة فكرية معبرة عميقة تعتمد الخيال لخلق حمايتها وفكرها فالصورة ليست الاكثر فحسب بل هي ايضا الفن الاكثر فلسفة والصورة التي نادى بها القصب في بيانه الاول هذا تعتمد شعر الفضاء الذي يرى انه محاولة خلق انواع من الصور المادية تساوي صور الكلمات ومن هنا يتاتى موقفه من النص المسرحي الذي سنعود لدراسته فيما بعد .
فالقصب يبدو امينا جدا في الاشارة الى المصادر والثقافات التي درسها واستثمرها في تجربته الفنية والتنظيرية . فقد اشار الى كل الذين اغنوا تجربته الابداعية (ارتو . بيتر بروك . ماير هولد . ساندا مانو. ريد هارت . سامي عبد الحميد) في كل المجالات الابداعية . ومن هنا يمكن تلمس القاعدة الصلبة التي يقف (عليها القصب فتجربته المسرحية جاءت مستندة الى خزين انساني كبير .
ان الصورة التي يطمح الى خلقها لا(تلغي المؤلف بل تقرأه بشكل يمنحه الوجود المستمر المرتبط بزمن متحرك وفي مكان اخر تقول: ان الصورة تعتمد الشعر الصعب المركب لهذا نرى ان الصورة تستبدل الشعر بفضاء يجد بالذات حلا في مجال لاتملكه الكلمات فقط) وهو هنا تاثر شانه شان ارتو وبروك وكروتوفسكي على التقليد المعتمد على الادب متطلعا الى عوالمه الشعرية ويذهب الى ابعد من هذا ويجدد مواقفه بالكامل من النص حيث يقول : انا خالق مسرح فالمهم بالنسبة لي ليست الكلمات وانما ماتنجزه الكلمات وما يعطي حياة الكلمات النص الجامدة وما يحولها الى كلمة ناطقة (فاللغة) كما هو شائع وسيلة للتوصيل والافكار تستخدم في البرهان والحديث والتفاهم لكن اللغة في مسرح الصورة ليس في المقام الاول مفهوما شفهيا انما يراد التعبير عنه انها ليست مجرد وضع للظواهر البيئية قيد التداول انها الادوات التي تتيح للكائن وجوده وها هو المشاهد دافع للمخرج لكي يستخلص ذاتيا فكرة يستند اليها في تفكيره هذه الفكرة المستخلصة هي التي تجدد المشاهد الذي يرى انه يمتلك (حركة) وهذا ما يقوده الى اسلوب الانشاء الشعر الذي نراه لدى (ارتو وبروك وغروتوفسكي) وهو بهذا الغاء النص المسرح المكتوب صحيح انه يعتمد على الحذف واعادة الترتيب والاضافة الا ان النص يبقى لديه هو الاساس الانطلاق وهنا يقول :انا لااهدم ابدا بقدر ما امنحه حرية التحرك والمعاصرة فانا اضيف زمنا جديدا لعصر الكتابة واقربه الى ان النص يمنحني عناصر الشعر التي بها يستطيع تفجير العمق الفكري للكلمة المحذوفة او غير المحذوفة والكلمة هنا تدخل الصورة لديه لاعلى اعتباره مفردة دلالية مجردة وانما كقيمة عالمية تستمد وجودها من خلال فهم المخرج والممثل لها وعليه فالقصب لايستعيض عن النص كاملا انما يحذف مايراه غير واضح لتكوين الصورة . ذلك لان المخرج لديه هو المبدع الاول فيجب كل العناصر الاخرى رؤيته الجمالية بما فيها النص المسرحي الذي يراه (القصب)(نتاج فكري لزمن ميت علينا ان نستحضره ثانية) أي انه يعد النص خامة ميتة متحجرة ولكي يعيدها للحياة فعليها ان تصاغ وتخضع خضوعا تاما لانجازات المخرج الذي يعيد الحياة لها ولهذا لا تتم الا بالصورة التي هي حلم متدفق يمنحنا (طقسي تثير فينا كل ذلك الكم الذي يعيش في اعماقنا انه بالدهشة والانبهار تجاه تلك العوالم التي يثيرها النص المسرحي بنا .. اننا نترجم تلك العوالم التي نحس بها الى صور مفردة انها تدخل المؤلف حلم الشخصيات وتراكماتها وعذاباتها وفرحها وتاملها وغربتها وسريتها و علانيتها . تترجم كل ذلك التاريخ الزمني الى الشعر الملون تنشره في ساحة العرض المسرحي) وهذا يترافق مع قدرة المشاهد غير التقليدية على التلقي .
النص المسرح عند صلاح القصب لايخضع الى عمليات البحث عن الفكرة المرتبطة بالشخصية هذه الفكرة التي يسميها بـ(الحركة) التي يرى ان في كل نص عدة حركات (افكار)وهذه الحركات تكبر وتصغر حتى تصل الى السؤال الفلسفي الكوني ان من اليسير استخلاص (الحركات)من النص الذي اختاره للتقديم فهي الحركات الخارجية اما الحركات الداخلية فأنها تاتي مما اسماه بـ (عزلة المحاور) حيث ان لكل شخصية محوراً خاصاً بها يمثل عالمها الخاص الذي تحيا منه الربط بين المحاور يحدد الحركة الداخلية للنص . اما الشخصية المسرحية لديه فانها جزئيات منشطرة تتجمع لتكون الفكرة التي تؤثر على الجزيئية الاخرى ويقصد بالجزيئات . الحالات التي تمر بها الشخصية لذا يمكن القول ان القصب ينظر للشخصية على انها حركة او يوصلنا الى بناء الشخصية . ومن خلال هذه المتطلبات يتوصل القصب الى اختيار النص المسرحي الذي يعامله باحد الانماط الاخراجية المعروفة :-
النص + المخرج +الممثل .
المخرج +النص + الممثل .
الممثل +المخرج+ النص.
ومن هنا نرى القصب يمتلك حركة (فكرة) ينطلق منها في اكتشاف مسارات النص وعوالم الشخصية التي تحدد التكوينات (وحدة العرض) و(القصب) في كل هذا يعتمد على مراحل ثلاث يختبر بها النص المسرحي ويكتشف عوالمه وهذه المراحل :
أ- اكتشاف حركات الدرامي والفلسفي للنص
ب –مرحلة المعالجة والتكوين
ج –مرحلة العرض(الاحتفال) .
فالدروس المستخلصة من قبل المخرج ذاتيا هي التي تحدد المضمون وعليه فما عليه الحذف والاضافة والتشذيب واعادة الترتيب باعتمادها على النص الا لتحقيق المضمون الجديد الذي توصل اليه وهو هنا يقترب من منهج كريك وبروك .

الـــتـــخـــلـــص مـــن ســـلـــطـــة المـــؤلـــف

عصمان فارس

عند الحديث عن مسرح الصورة يقفز الى الذاكرة الفنان العراقي صلاح القصب واسلوبه المميز ونهجه في وضع منهج جديد في الاخراج المسرحي ، والمسرح بالنسبة للقصب ليس سجين التقاليد والمحرمات والعادات الفكرية الجامدة والرفض الجذري للعناصر الاساسية التي تشكل مفهوما للمسرح والكشف عن الاحداث المجهولة وايجاد مسرح لا يخاطب الجمهور من فوق المنبر ومعالجة القضايا الانسانية والوصول الى قلب المشاهد وعقله ليس بالكلام والخطاب وتدمير الاشكال الادبية المتوارثة ونعلن رفضها لطرق الاخراج المسرحي القديمة وكل ما توارثته من المسرح التقليدي والذي نراه مصطنعا ويخضع لقواعد واعراف قديمة فالجمهور لاينبغي ان يذهب الى المسرح ليستمع ويشاهد بشكل سلبي وانما لكي يشارك قيم المسرح السائد في طريق الوسائل نفسها ورفض المسرح كصورة فوتوغرافية وهي صورة لافائدة منها.

والكلمة ليست المسرح فهي وسيلة واحدة للتعبير من خلال وسائل عديدة فالعمل المسرحي شكل في المجال المسرحي من خلال اداء الممثلين والاخراج هو المسرح اكثر من النص المكتوب والمنطوق واللغة الرئيسية الفضاء والحركة وخلق الاساطير كما هي قصة الخليقة البابلية فمسرح صلاح القصب ما هو الا مغامرة جديدة في عالم الفن المسرحي.
يبدو ان طريق البحث عن الذات على صعيد الفن وفي الفن المسرحي خصوصا طريق شاق والامر يتعلق في كيف نرسم صورتها امام ناظرينا . ولا بد لرسم تلك الصورة من ادوات تعبير مناسبة في الاقل وسواء استعنا على ذلك بادات خاصة بنا ام لا . والمهم يبقى كيفية الاستفادة منها ادواتنا الخاصة وابتكارها صورة الذات في الفن المسرحي والمهم هو البحث عن المشاكل العامة في المسرح كالعلاقة مع الجمهور ومسالة النص المسرح والابداع التصوري هو عملية الاخراج ذو اثر جمالي وتطبيقي ملموس يجعل التصوير الخيالي ظاهراً للعيان من خلال الصورة المقدمة على خشبة المسرح للجمهور وتقول ان هذا التصور هو وسيلة خيالية ضرورية تبرز ما تعجز عنه اللغة المكتوبة وتبرز جوانب المسرحية الخفية ونقل التصورات الانفعالية الى خشبة المسرح . يمتاز المخرج صلاح القصب عند البروفات المسرحية بأنه قادر على الاصغاء ويتمتع بلغة الحوار الديمقراطي واستغلال جميع النصائح من فريق العمل مع الممثلين ومساعديه ويشغل كل الهامات الفرقة ووحيها وهو في اثناء البروفات يخلق الطقس المميز او المناخ العام ويحافظ على حالة الصراع داخل العمل من خلال قدرته الثقافية والفكرية ومعاملة الاخراج معاملة نقدية ادبية تحليلية وتتعمق هذه الميول اكثر وتزداد قوة في اثناء عمل المخرج صلاح القصب مع طلبة الفنون المسرحية اثناء دراساتهم فنون الاخراج والتمثيل ومهمة المخرج ابراز الجوانب البصرية للحكاية والعقدة والاحداث وبناء عالم المسرحية الخيالي عن طريق تقديم شخصياته بطريقة تراعي الفضاء المسرحي . وان تصويره للشخصيات يكون متاثرا بتجربته الخاصة وعالمه الثقافي ومعرفته الذاتيه مع استدعاء الذكريات المعرفية والصورية لتحديد هويته الشخصية وشكلها هذا وهو بالضبط يضع العمل بطريقه الى خلق الاسلوب الذي يتجه صوبه عمل المخرج اثناء التمرين مع الممثلين وهذه الطريقة الاكثر اصالة وديمومة بعيدة عن الافكار والاعتماد على فكرة الارتجال المسرحي بغض النظر عن اشتراطات النص المسرحي والمخرج يشجع ممثليه على اسلوب الابتكار أي ايجاد اشياء مبتكرة تكمن خلف او تحت النص ليس أي نص بالطبع ولكن ذلك النص الذي يمتلك القدرة على تفجير مخيلة المخرج والممثل والاعتماد على تقطيع النص المسرحي وهذه خصوصية يتمتع بها المخرج المبدع صلاح القصب وهي التفسير ذو الرؤية الفكرية واللعب بالنص الدرامي سواء كان قديما او حديثا وكذلك فهمه الاحداث التي يموج بها المجتمع وهو يلتقط الخيط الشاعري الذي يصل الماضي بالحاضر ويفجر الحاظر من وجهة نظر مستقبلية فهو يستند إلى فكرة المؤلف الرئيسية ويدفع باداء الممثل، ولي تجربة إذ عملت ممثلا مع المخرج صلاح القصب في مسرحية (قرقاش في السبعينيات) قبل سفره لدراسة المسرح في رومانيا فهو ملتزم بالمسرح الجاد والمسرح التنويري والذي يمزج بين الثقافة الجادة والمتعة الفنية والحسية دون ان ينحدر الى المسرح الاستهلاكي التجاري . وينفرد المخرج القصب بتاليف رؤية اكثر شمولية وذات قدرة ذاتية في الاخراج وهي الاقرب الى قدرة المايسترو وبدون مبالغة وشاهدت مئات العروض والتجارب العالمية في مسرح السويد من جميع انحاء العالم فتجربة صلاح القصب المبدع نادرة وسر ندرتها في كونه يصب روحه في طيات الكلمات للكاتب وفي ابداعات الممثلين وهو المخرج الذي يستحق ان يكون مؤلفاً للكائن الجديد هو العرض المسرحي . والغاء دور دكتاتورية الكلمة او اللغة والزخرفات اللفظية وتحاول حجب والغاء دور المؤلف عبر ابتكارنا وارتجالنا التمثيلي والاخراجي من خلال تفجير المخيلة واحيانا يتحول النص المسرح اثناء العرض الى افضل بكثير مما موجود كنص مسرحي في كتاب كما في مسرحية احزان مهرج السيرك . واعطاء الحرية للممثل لخلق الاشياء المتقدمة والمخرج له المهمة الرئيسية وهي الحفر عميقا في ذاكرة الممثل وخزائن وعيه وعملية قلب بنية النص المسرحي . والمهمة الجوهرية للمخرج ان يشحن النص والممثل من خياله الثري وخلق وتكوين عالم مليء بالصور والاشكال الهندسية تتسلل الى تكوينات الفضاء المسرحي ويحاول الممثل والمتلقي ان الصورة ويخلق سبيل التخيل والتخلص من قيود المؤلف وتحويل المكتوب شفويا متحركا وفق اجراءات الذاكرة الحسية والانفعالية يقدم صورة مادية وواضحة ومفهومة . ان النقل البصري في اعمال المخرج المبدع صلاح القصب هو تهشيم النص ويستمد قوته من المايم لانه يعبر عن حقائق تعجز اللغة المنطوقة عن نقلها أي التخلص من سلطة الكاتب المسرحي وسقوط هيمنته وسلطة المخرج هي السلطة الاولى في انشاء العرض المسرحي .